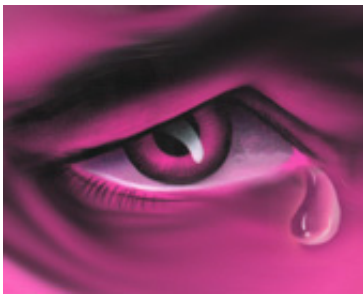


حديث : فعليكم بسنتي

10:35:22 2006-08-22 | الشبكة الإسلامية



متن الحديث

عن **أبي نجیح العریاض بن ساریة** رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله ، كأنها موعظة مودع فأوصنا ، قال : **(أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن تأمر عليكم عبد ؛ فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة)** رواه **أبو داود** و**الترمذي** وقال: حديث حسن صحيح.

الشرح

خلال ثلاث وعشرين سنة ، لم يَذخر النبي صلى الله عليه وسلم جهدا في تربية الناس وإرشادهم ، فكانت حياته صلى الله عليه وسلم هداية للناس ، ونورا للأمة ، يضيء لهم معالم الطريق ، ويبين لهم عقبات المسير وصعوباته .
لقد ظل هذا النبي الكريم على هذا المنوال طيلة حياته ، حتى جاء ذلك اليوم الذي نزل عليه قوله تعالى : **{ إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا }** (النصر : 1 - 3) ، حينها أدرك دنو أجله ، وازداد يقينا بذلك حينما خيره الله بين البقاء في الدنيا والانتقال للدار الآخرة ، وتكاثرت الإرهاصات الدالة على قرب لحوقه بربه ، فأدركته الشفقة على أمته من بعده ، وأراد أن يعظهم موعظة نافعة ، ووصية جامعة ، تطهير منهاجا متكاملا للتعامل مع ما سيمر بهم من فتن ، وما قد يبتلون به من محن ، فتكون هذه الوصية لهم بمثابة طوق النجاة في بحر الحياة الخضم .
وكان لهذه الموعظة العظيمة أكبر الأثر في تلك النفوس الكريمة والمعادن الأصيلة ، لقد استشعروا في هذه الوصية قرب فراق نبيهم للدنيا ؛ ولذلك ذرفت عيونهم وخفقت قلوبهم ، وأحسوا بعظم الموقف مما جعلهم يقولون : " يا رسول الله ، كأنها موعظة مودع فأوصنا " .
لقد طلبوا منه وصية تكفيهم من بعده ، وتكفل لهم البقاء على الجادة ، وصحة المسير ، فجاءتهم الوصية النبوية بتقوى الله ؛ فإنها جماع كل خير ، وملاك كل أمر ، وفيها النجاة لمن أراد في الدنيا والآخرة .

ثم أتبع النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأمر ببيان حقوق الإمام التي كفلها الشرع ، فقال : **(.. والسمع والطاعة - أي : للأمر - ، وإن تأمر عليكم عبد)** ، فالسمع والطاعة حقان من حقوق الإمام الشرعي كما قال الله عز وجل : **{ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم }** (النساء : 59) ، وعن **أم الحصين** رضي الله عنها قالت : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع يقول : **(يا أيها الناس اتقوا الله ، واسمعوا وأطيعوا وأن أمر عليكم عبد حبشي مجدع ، ما أقام فيكم كتاب الله عز وجل)** رواه **أحمد** وأصله في **البخاري** ، وغيرها من النصوص الكثيرة الدالة على ذلك .

وعلى الرغم من دخول السمع والطاعة للإمام في باب التقوى ، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم أفرد بالذكر ؛ تأكيدا على أهميته ، وعظم شأنه وخطره .

لكن ثمة أمر ينبغي أن نلقي الضوء عليه ، وهو أن هذه الطاعة التي تلزم للإمام الشرعي مشروطة بأن تكون موافقة لأحكام الشرعية ، وليست مستقلة بنفسها ، فإذا تعارض أمره مع شرع الله ورسوله فلا تجب طاعته في ذلك ، ومما يدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : **(لا طاعة في المعصية ، إنما الطاعة في المعروف)** رواه البخاري ومسلم .

وقد ذكر العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم : **(وإن تأمر عليكم عبد)** أمران ، الأول : أن ذلك من باب الإخبار بالأمور الغيبية ، حين تُسند الولاية إلى غير أهلها ، وتوضع في غير موضعها ، فهنا يجب له السمع والطاعة درءاً لحدوث الفتن ، والثاني : أن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الأمر جاء من باب ضرب المثل ، وذلك كقوله في الحديث الآخر : **(من بنى مسجداً لله كمفحص قطاة أو أصغر ، بنى الله له بيتاً في الجنة)** رواه ابن ماجه ، ومفحص القطاة أقل من أن يتسع لفرد ، وأصغر من أن يكون مسجداً .

ثم أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن اختلاف أمته من بعده ، وكيفية النجاة من هذا الاختلاف ، لقد قال : **(فإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين)** ، إنها إشارة إلى ما سيؤول إليه أمر الأمة من تفرق يوهن قوتها ، وابتعاد عن الهدى والحق ، فوصف الداء وبيّن الدواء ، وأرشدنا إلى التمسك بسنته ، وسنة خلفائه الراشدين من بعده ، الذين من الله عليهم بالهداية ومعرفة الحق ، والاستقامة على المنهاج النبوي ، حتى صار عصرهم أنموذجاً رفيعاً يُقتدى به .

وفي ضوء ذلك، يمكن أن نفهم تأكيد النبي صلى الله عليه وسلم الله على التزام هديهم عندما قال : **(عَضُّوا عليها بالنواجذ)** ، والنواجذ هي آخر الأضراس ، فهي إذاً كناية عن شدة التمسك وعدم الحيدة عن هذا الطريق .

إن هذه النصيحة النبوية لتحمل في ثناياها التصور الواضح والتأصيل الشرعي الصحيح الذي ينبغي على المسلم أن ينتهجه في حياته ، وبذلك تزداد الحاجة إلى تأمل هذا الحديث واستخراج معانيه العظيمة ، نسأل الله تعالى أن يكتب لنا العصمة من الضلال .